



## 655,000 عراقياً ماتوا من جراء الحرب

**جيلبرت برنهام وآخرون**

**The Lancet**

في دراسة تنشرها مجلة ذي لانسييت The Lancet اليوم 2006/10/12 قدر آخر بحث أجراه باحثون من جامعة جونز هوبكنز في بلومبرج في ميريلاند - الولايات المتحدة وجامعة المستنصرية في العراق أن حوالي 655,000 عراقي ماتوا من جراء الحرب، وذلك يزيد عن التقديرات السابقة، لكن الرئيس جورج بوش وصف البحث بأنه غير ذات مصداقية، والقائد الأمريكي الأعلى في العراق وضع الرقم في حدود 50,000؟

لعل الرئيس بوش ينظر الى عداد بنادق جنوده، غير أن الأمر يختلف من وجهة نظر الباحثين عن وجهة نظر القيادة العسكرية الأمريكية أو عن الحكومة العراقية العميلة. فالباحثون اعتمدوا طريقة علمية دقيقة في البحث أظهرت عدد القتلى الحقيقي نتيجة الاحتلال. لقد استخدم الباحثون الأمريكيون والعراقيون طريقة المقابلات مع العائلات عوضاً عن احصاء الجثث لتقدير حجم الزيادة في الوفيات بسبب الحرب التي مضى عليها حتى الآن 3 ½ سنة مقارنة بأعدادها عادة في أوقات السلم.

وقال جيلبرت برنهام، وهو أحد الباحثين، من كلية الصحة العامة بجامعة جونز هوبكنز في بلومبرج في ميريلاند - الولايات المتحدة ان معدل الوفيات في العراق يزيد ثلاثة أضعاف عن معدلها قبل الغزو في مارس/آذار عام 2003 وقدرت الدراسة التي أوردتها نشرة ذي لانسييت The Lancet الطبية معدل الوفيات قبل الحرب 143 الف سنوياً.

وقال برنهام ان الباحثين قدروا انه نتيجة للحرب توفي 655 الف شخص زيادة على العدد المتوقع لو لم تقع الحرب في بلد يبلغ تعداده 27 مليون نسمة. وأضاف أن هذا يعني أن 2.5 بالمئة من سكان العراق توفوا بسبب الغزو والصراع الذي أعقبه.



### آراء الحكومة الأمريكية والحكومة العميلة

وقال بوش في مؤتمر صحفي في البيت الابيض "لا اعتبره تقريراً يحظى بالمصداقية كما لا يعتبره كذلك الجنرال (جورج) كيسبي (اكبر قائد أمريكي في العراق) أو مسؤولو الحكومة العراقية".

وأردف قائلاً " أعرف أن عديداً من الأبرياء قد توفوا، وهذا مايزعجني. ويحزنني. " لكنه وصف منهجية الدراسة بانها "تفتقر للمصداقية".

وفي ديسمبر كانون الاول الماضي قدر بوش أن 30 الف عراقي قتلوا في الحرب. وفي تصريح لكيسبي في مؤتمر منفصل في البنتاغون قال: "أنا لم أطلع على الدراسة لكن الرقم 655,000 يبدو بعيداً جداً عن أي رقم قد رأيته. أنا لم أرى رقماً أكبر من 50,000. ولذلك لا أعطي مثل هذا الرقم مصداقية أبداً".

وقد امتنع برايان ويطمان المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية عن رفض تقديرات الدراسة وقال ان من الصعب احصاء وفيات المدنيين. وقال ويطمان ان وزارة الصحة العراقية في وضع يؤهلها بشكل أفضل لتقديم مثل هذه البيانات.

وقال علي الدباغ الناطق الرسمي باسم الحكومة العراقية العميلة لرويترز "ان التقارير عن ضحايا سقطوا ما بعد انهيار النظام السابق هي غير معقولة وهذه الأرقام مبالغ فيها وغير دقيقة وان الحكومة العراقية تقدر الرقم ب 40,000 ألف قتيلاً منذ الحرب الى الآن. " نؤكد ان الارقام بعيدة كل البعد عن الحقيقة وان الحكومة العراقية تجهد من اجل ان تحمي المواطن العراقي من الارهاب."

هذا ولم يصدر حتى الآن أي تعليق من الحكومات "المعتدلة" العربية على هذه الدراسة.



ودافع برنهام عن منهجية الدراسة ووصف صعوبة جمع البيانات في وقت حرب. وقال ان 600 الف شخص توفوا بسبب أعمال العنف وأكثرهم في اطلاق نيران مع تزايد أعداد القتلى في انفجارات سيارات ملغومة. لكنه أضاف ان هناك زيادة طفيفة كذلك في عدد الوفيات لاسباب غير العنف مثل امراض القلب والسرطان والامراض المزمنة.

وقال برنهام " ان 31% تقريبا من العائلات ينسبون قتل أفراد عائلاتهم الى قوى التحالف." وتستند النتيجة الى مسح أجراه باحثون من جامعة جونز هوبكنز وجامعة المستنصرية في بغداد بين مايو ايار ويونيو حزيران شمل 1849 أسرة تضم 12801 فرد في 47 موقعا تم اختيارها عشوائيا في انحاء العراق.

وسأل الباحثون الاسر التي شملتها الدراسة عن المواليد والوفيات والهجرات. وقال الباحثون ان أساليب المسح نفسها استخدمت لتقدير الوفيات في مناطق صراع أخرى مثل الكونجو وكوسوفو والسودان.



### معدل الوفيات بسبب العنف بحسب المحافظات

وشكل الصبية والرجال الذين تتراوح اعمارهم بين 15 و 44 عاما نحو 60 بالمئة من الوفيات الزائدة.

وقال برنهام "تقديراتنا الاجمالية أعلى بكثير من تقديرات أخرى لاننا استخدمنا منهجية فعالة تعتمد على السكان لجمع معلومات عن الوفيات بدلا من احصاء الجثث أو تقارير اعلامية موجزة وسطحية عن القتلى من جراء العنف".

وتشير تقديرات أخرى تستند الى أرقام مراكز الابحاث ومصادر اعلامية الى أن الزيادة في أعداد الوفيات العراقية أقل بكثير. وتقدر قاعدة بيانات حصر الجثث في العراق أن ما يتراوح بين 43850 و 48693 حالة وفاة حدثت منذ الغزو.

وهذه الدراسة تلي دراسة سابقة أخرى لمعهد جونز هوبكنز أظهرت أن عدد الوفيات الذي تجاوز المعتاد في العراق في الفترة بين مارس اذار 2003 وسبتمبر أيلول 2004 بلغ مئة ألف. ورغم ان نتائج الدراسة اعلنت قبل انتخابات التجديد النصفي للكونجرس الامريكي في منتصف الشهر المقبل قال برنهام ان دوافعها غير سياسية.



وفي سياق متصل، عن وكالة رويترز، قال يان ايجلاند نائب الامين العام للامم المتحدة يوم الاربعاء "ان أكثر من الف عراقي يفرون من ديارهم كل يوم بسبب اعمال العنف والقتل بدافع الانتقام التي "خرجت تماما عن السيطرة".

وأضاف ايجلاند اكبر مسؤول عن الشؤون الانسانية بالمنظمة في مؤتمر صحفي أن العنف الطائفي والعمليات العسكرية اجبرت أكثر من 315 الف على الفرار من ديارهم في الاشهر الثمانية الماضية.

وقال "نحو تسعة الاف ينزحون كل اسبوع.. والاسوأ ان نحو مئة شخص يقتلون كل يوم".

وتابع أن العنف مرتبط بعمليات قتل طائفية اذ يضطر السنة للفرار من المناطق الشيعية ويضطر الشيعة للفرار من معاقل السنة.

ومضى يقول "القتل بدافع الانتقام يبدو انه خرج تماما عن نطاق السيطرة الان. وأغلب القتلى قتلوا بطلقات نارية أو بالتعذيب حتى الموت".

وناشد ايجلاند منسق عمليات الاغاثة الطارئة بالامم المتحدة القيادات العرقية والثقافية رؤية ان ذلك "تساعد حتى خرج عن نطاق السيطرة تماما... ويتعين ان يتوقف".

وقال ايجلاند ان ما بين 1.2 و 1.5 مليون عراقي لجأوا الى الدول المجاورة ويعبر نحو الف عراقي الحدود يوميا الى سوريا.

وتابع أن أغلب النازحين من المتعلمين تعليما عاليا مثل الاطباء مما يترك البلاد تواجه نزيف عقول كبيراً.

وقال "يقدر البعض أن الجامعات والمستشفيات فقدت نحو 80 بالمئة من طواقمها. وغادر نحو

ثلث الحرفيين البلاد كذلك."

